

معرف الكائن الرقمي للمقال (DOI): 10.54240/2318-011-003-004

المدارس الفكرية التربوية بالمشرق الإسلامي وأثرها في التربية

والتعليم بإفريقية والأندلس بين القرنين 4 - 7 هـ/ 10-13 م.

Educational Intellectual Schools in the Islamic East and their
impact on education in Ifriqiya and Andalusia between the
centuries 4-7 Ah/10- 13 Ad

صص 70-93

اسم ولقب المؤلف المرسل: كريمة سونة- Souna Karima

الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه- مخبر المؤسسات الجزائرية ودورها في التنمية الوطنية-

جامعة الجيلالي بونعامة- خميس مليانة- الجزائر/ البريد الإلكتروني: Ksouna@univ-dbk.m.dz

اسم ولقب المؤلف الثاني: عثمان أم الخير- Otmani Oum el-Kheir

الدرجة والعنوان المهني: أستاذة التعليم العالي- جامعة الجيلالي بونعامة- خميس مليانة- الجزائر

البريد الإلكتروني: o.otmani@univ-dbk.m.dz

تاريخ استقبال المقال: 2021/06/15 تاريخ المراجعة: 2021/07/07 تاريخ القبول: 2021/09/05

الملخص: منذ القرن 4 هـ/ 10 م اختلفت صنعة التعليم الإسلامي عند كل من المدارس الفكرية التربوية، سواء السنية منها أو الشيعية أو الإباضية، غير أن الهدف كان واحد عند كل منها، وهو الدفاع عن العقائد والأصول والمبادئ التي تؤمن بها كل مدرسة، وكان منبث هذه المدارس في المشرق الإسلامي، إلا أن بذورها انتشرت عبر الأمصار الإسلامية المختلفة، ومن بينها إفريقية والأندلس؛ إذ حاولت كل مدرسة الاستفادة من مختلف أماكن التعليم الموجودة آنذاك، ولجأت إلى استحداث أماكن جديدة مثل: المدارس النظامية عند السنة التي ظهرت في أواسط القرن 5 هـ/ 11 م، وتُنسب للوزير السلجوقي "نظام الملك الطوسي" (ت 485 هـ/ 1092 م)، على الرغم من تأخر ظهورها في المغرب والأندلس أو ابتكار طرق وأساليب تعليمية متنوعة كالتعليم الظاهر والباطن بالنسبة للشيعه الفاطميين أو اللجوء إلى السر والكتمان، وممارسة التعليم في أماكن بعيدة لا تثير الاشتباه، كما كان الحال عند الإباضية التي تمكنت من الحفاظ على بقائها- ولو كأقلية- من خلال استحداث حلقة

العزّابة، في حين كانت السيادة للمدرسة التربويّة الفقهية ممثلةً في المذهب المالكي الذي تمكّن من الصمود، من خلال نشاط فقهاء في الرحلة إلى المشرق لطلب العلم، ثم العودة إلى أوطانهم للتدريس، والتأليف لتثبيت العقيدة في النفوس. الكلمات المفتاحية: الفكر التربوي؛ المدارس الفكرية؛ المدرسة الفقهية؛ المدرسة الشيعية؛ المدرسة الإباضية؛ التعليم؛ المذهب المالكي؛ حلقة العزّابة؛ إفريقية والأندلس.

ABSTRACT: Since the 4th century AH/10AD, the work of Islamic education has differed in each of the educational schools of thought, whether Sunni, Shiite or Ibadi, but the goal was the same for each of them, which is to defend the beliefs, assets and principles that each school believes in, and the origin of this Schools in the Islamic East, but their seeds spread through the various Islamic cities, including Ifriqiya and Andalusia; Each school tried to take advantage of the various educational places that existed at the time, and resorted to creating new places, such as: the regular schools in the Sunnah that appeared in the middle of the 5th century AH / 11 AD, and are attributed to the Seljuk minister Nizam al-Malik al-Tusi (d. 485 AH/1092 AD), despite their late appearance In Morocco and Andalusia, or inventing various educational methods and methods such as outward and inward education for the Fatimid Shiites, or resorting to secret, concealment, and practicing education in remote places that do not raise suspicion, as was the case with the Ibadis, which managed to maintain their survival - even as a minority - from During the creation of the single cycle, while the dominance of the jurisprudential educational school was represented by the Maliki doctrine, which was able to withstand through the activity of its jurists in the journey to the East to seek knowledge, and then return to their homelands to teach, and authoring to establish the faith in the souls.

Keywords: educational thought; schools of thought; jurisprudence school; Shiite school; Ibadi school; education; The Maliki school of thought; bachelor ring; Africa and Andalusia

مقدمة: منذ بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والأندلس أواخر القرن 1 هـ/ 7 م بشكل عام حرص الفاتحون من الصحابة والتابعين على نشر الدين الجديد وتعاليمه بين السكان الأصليين؛ فاعتنوا بالتعليم؛ لإدراكهم بأنّ العقيدة لا يمكن أن تُرسخ في العقول والقلوب بالتلقين الشفوي فحسب؛ فكان بناء المساجد في القيروان بإفريقية سنة 50 هـ/ 670 م، وفي قرطبة بالأندلس سنة 167 هـ/ 784 م؛ لتعليم اللغة العربية، وبعد استكمال الفتح، وإقبال أهل إفريقية والأندلس على الدين الإسلامي، كان من الطبيعي أن يرتبط هؤلاء بالمشرق

الإسلامي والتطلع إلى الاستزادة من الثقافة السائدة هناك؛ فتأثر أهل العُدوتين: الإفريقية والأندلسية بكل ما كان يدور في بلاد المشرق الإسلامي من أحداثٍ، سواءً السياسية أو الدينية أو الثقافية...، وغيرها من التيارات الفكرية والمذاهب السياسية التي ظهرت، خاصةً عقب أحداثٍ سياسية كمسألة الخلافة والإمامة؛ فانعكست بدورها على نظام التعليم الإسلامي بشكلٍ عام، سواءً في المشرق أو المغرب الإسلامي.

فإلى أي مدى أثرت المدارس الفكرية بالمشرق الإسلامي على النظام التربوي والتعليمي بإفريقية والأندلس في الفترة الممتدة بين القرنين 4-7 هـ/ 11-13 م؟ وهل استطاعت المدارس التربوية الإفريقية والأندلسية الانفراد بنوعٍ من التعليم التربوي ميّزها عن المدرسة المشرقية الأمّ التي أخذت منها؟

ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث لإبراز مدى تأثر المدارس التربوية التعليمية في إفريقية والأندلس بنظيرتها في المشرق الإسلامي، من خلال اتباع المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل، في شكل عنصرين أساسيين: تناول الأول أهم المدارس التربوية المشرقية التي أثّرت على التعليم في إفريقية والأندلس، وهي المدرسة الفكرية التربوية السنية، والمدرسة الشيعية الفاطمية، والمدرسة التبركية الإباضية، والمدرسة الظاهرية، أما الثاني فيدرس أثر هذه المدارس في كلّ من إفريقية والأندلس.

1- أهم المدارس التربوية المؤثرة على التعليم في إفريقية والأندلس بين القرنين 4-7 هـ/ 11-13 م، تتمثل في الآتي:

1-1 المدرسة الفكرية التربوية السنية (اتّجاه الفقهاء والمحدثين): يُقصد بها تلك المدرسة الفقهية التي تبلورت اتّجاهاتها في عصر الأئمة المجتهدين في القرن 2 هـ/ 8 م، وصار لكل واحدٍ منها تيّارٌ له زعماء وأتباعه، وأصول ومعالِم تميّزه عن غيره من الاتجاهات⁽¹⁾، والمدرسة الفقهية لا تعني بناءً يُتدارس فيه الفقه، إنّما هي "طريقة ينتهجها الفقيه، فيأخذها عنه غيره، ويتابعونه عليها، وبذلك تصبح تيّارًا، ومسلّكًا، يُعرّفون بها دون غيرهم"⁽²⁾، ونُسبت هذه المدارس إلى البلاد التي برزت فيها، فمدرسة الحديث كانت بالمدينة المنورة، وتُعرف كذلك بأهل الأثر⁽³⁾، وهم أهل الحجاز؛ أصحاب الإمام مالك بن أنس (ت 179 هـ/ 795 م)، ومحمّد بن إدريس الشافعي (ت 204 هـ/ 820 م)، وغيرهما⁽⁴⁾، ومدرسة الرأي: أصحاب أبي حنيفة

النعمان بن ثابت (ت150هـ/767م)⁽⁵⁾ كانت بالكوفة، ثم خرجت كل واحدة من معقلها الأول، وشكلت تياراً له أتباعه في مختلف أرجاء العالم الإسلامي.

2.1 الفكر التربوي للمدرسة الفقهية السنية: تُعدّ من أكثر المدارس التربوية انتشاراً عند المسلمين عامة، سواءً في المشرق أو المغرب الإسلاميين لقرب المُحدثين والفقهاء من الناس، واختلاطهم الشديد معهم⁽⁶⁾، وأصول التربية الإسلامية ومناهجها أغلبها مُستمدّة منها، فعلى كاهلها قامت حركة التّعليم الأولى في الكتاتيب، وتعليم وتفقيه المسلمين أمور دينهم⁽⁷⁾، والمُلاحظ أنّ جُلّ أساتذة التربية الأوائل الذين نظّروا للفكر التربوي الإسلامي، ووصلت إلينا مؤلفاتهم التربوية ينتمون إليها، كما تُمثّل أراؤهم التربوية عُصارة الفكر التربوي في العصر الإسلامي، وهي مُواكبة لروح ذلك العصر⁽⁸⁾.

وهذه المدرسة أوّلّت عنايةً بالغةً بالأخلاق عموماً، وبآداب العالم والمتعلّم بشكلٍ خاص⁽⁹⁾، وأهمّ ما يُميّز المدرسة التربوية السنية هو نظرتها للعلم والتّعلّم والتّربية والتعليم بشكلٍ عام نظرة دينية، فأول ما يتعيّن على طالب العلم تعلّمه القرآن الكريم؛ حفظاً وإتقاناً وتفسيراً، مع الإلمام بكلّ ما ارتبط به من علوم؛ كونه أصل العلوم وأهمّها، كما أنّها تُقوّم العلوم تقويماً دينياً، فهناك علوم مفروضة فرض عين، وهي علوم الفرائض الدّينية، وعلوم مفروضة فرض كفاية، وهي التي لا يُستغنى عنها لتدبير أمور الدّنيا⁽¹⁰⁾.

ومنهج الفقهاء والمُحدثين في التربية يتمثّل في الاعتماد على القرآن والسنة، والإجماع والقياس، والمحافضة على الطابع العربي الإسلامي الخالص، دون مزجه بالثقافات غير العربية وآثارها ومحتوياتها⁽¹¹⁾، لذلك نجد هذه المدرسة ترفض الاعتراف بوجود الفلسفة⁽¹²⁾، وصدرت فتاوى متشدّدة بشأن الفلاسفة أخرجتهم من دائرة الإسلام إلى الكفر، ومنها نذكر موقف حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي (ت505هـ/1111م) الذي كَفَّر بعض الفلاسفة المسلمين كالفارابي (ت339هـ/951م)، وابن سينا (ت428هـ/1037م) في كتابه المنقذ من الضلال⁽¹³⁾.

وسُئل الفقيه الشافعي عثمان بن عبد الرحمن؛ المعروف بابن الصلاح (ت643هـ/1246م) عمّن يشتغل بالمنطق والفلسفة تعليمًا وتعلُّماً، فأفتى بأنّ الفلسفة رأس السُّقّة

والانحلال، وهي مثار الزُئغ والزندقة تُعني بصيرة صاحبها عن محاسن الشريعة الإسلامية المؤيَّدة بالحُجَج الظَّاهِرة⁽¹⁴⁾.

قال بالنسبة للمنطق: "وأما المنطق، فَهُوَ مَدْخِلُ الفَلَسَفَةِ، وَمَدْخِلُ الشَّرِّ شَرٌّ، وَلَيْسَ الْإِسْتِغَالُ بِتَعْلِيمِهِ وَتَعَلُّمِهِ؛ مِمَّا أَبَاحَهُ الشَّارِعُ، وَلَا اسْتَبَاحَهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَيُّمَةِ الْمُجْتَهِدِينَ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِينَ وَسَائِرِ مَنْ يَقْتَنِي بِهِ..."⁽¹⁵⁾، ورأى أنه من واجب سلطان المسلمين عزل كل مُدَرِّسٍ مدرسة من أهل الفلسفة يعمل على التصنيف فيها والإقراء لها؛ بل سجنه وإلزامه منزله، وذهب إلى أبعد من ذلك بأن يعرض السلطان من ظهر منه اعتقاد عقائد الفلاسفة على السيف أو الإسلام⁽¹⁶⁾.

ومن أبرز زُؤاد هذه المدرسة في المشرق الإسلامي نذكر أبو بكر بن محمد بن الحسين الأَجْرِيّ البغدادي (ت360هـ/971م)، قال عنه الخطيب البغدادي (ت463هـ/1071م) إنه "كان ثقة صدوقاً ديناً، وله تصانيف كثيرة، وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، ثم انتقل إلى مكة، فسكنها حتى توفي بها"⁽¹⁷⁾، ويعدّ من دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني والتربوي في عصره ومن مؤلفاته: "أخلاق العلماء"، وأخلاق أهل القرآن⁽¹⁸⁾.

ونذكر أيضاً الخطيب البغدادي (ت463هـ/1071م) نفسه، وفضله أكثر من أن يوصف كما يذكر ابن خلكان، فكان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين، وفقهياً غلب عليه الحديث والتاريخ⁽¹⁹⁾، وله مجموعة من المؤلفات في آداب المُحَدِّثِ وطلبة الحديث تحمل آراء البغدادي التربوية وفق منهج المحدثين ومنها الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الرحلة في طلب الحديث، تقييد العلم وغيرها⁽²⁰⁾.

ومن زُؤاد مدرسة الفقهاء في إفريقية نذكر أبا محمد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م) الذي قال عنه القاضي عياض، في مداركه: "كان أبو محمد رحمه الله، إمام المالكية في وقته وقدمتهم، وجامع مذهب مالك"⁽²¹⁾، له العديد من المصنّفات منها، رسالة في طلب العلم⁽²²⁾، ونذكر أيضاً أبا الحسن بن علي القابسي (ت403هـ/1012م) صاحب "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين"، وله كتاب "رتب العلم وأحوال أهله"⁽²³⁾.

ومن رَوّادها في الأندلس نذكر أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي (ت463هـ/1071م)، وهي نفس السنة التي توفي فيها البغدادي، قال عنهما ابن خلكان: "كان الخطيب البغدادي حافظ الشرق، وابن عبد البر حافظ الغرب"⁽²⁴⁾، وعلى الرغم من أنه لم تكن له رحلة إلى المشرق⁽²⁵⁾، إلا أنه كان إمام عصره في علم الحديث والأثر⁽²⁶⁾ "سمع منه عالم عظيم فيهم من جلة أهل العلم المشاهير"⁽²⁷⁾، له مصنفات عديدة منها كتابه جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، يشمل آراءه التربوية، وهي لا تختلف عن منهج الفقهاء في كيفية الرتبة في أخذ العلم⁽²⁸⁾، وفي آداب العالم والمتعلم⁽²⁹⁾، وهيبة المتعلم للعالم وغيرها⁽³⁰⁾.

ويمكن تحديد الأهداف التي سعت إليها المدرسة التربوية السنية في أربعة عناصر هي: نشر الدعوة الإسلامية، إعداد المعلمين والعلماء، وإعداد القضاة ورجال الجسبة، والدفاع عن العقيدة الإسلامية⁽³¹⁾.

1-3 المدرسة التربوية الإباضية: تُنسب هذه المدرسة إلى الفرقة الإباضية؛ نسبة إلى مؤسسها عبد الله بن إياض (ت قبل 86هـ/705م)، على الرغم من أن الكتب الإباضية تعتبر أن جابر بن زيد (ت 93هـ/710-711م) هو واضع أسس هذه المدرسة في شتى العلوم الدينية مثل التفسير والحديث والعقيدة والفقه، ولذلك يعتبره الإباضية الوجه العلمي السري أو الأب الروحي للمدرسة، أما عبد الله بن إياض (ق1هـ/8م)، فكان وجهها السياسي البارز الذي كان يصدر رأيه عن الإمام جابر⁽³²⁾، وبعد وفاته تولى إمامة هذه المدرسة، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (ت145هـ/762م) الذي تكوّن على يديه في مدرسة البصرة ما يُعرف بِحَمَلَةِ العلم إلى المشرق والمغرب⁽³³⁾.

وحسب الكتابات الإباضية، فإن مدرستهم الفقهية تعتبر مصادر الشريعة الأساسية متمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، والرأي لاستنباط الأحكام دون تطرف، وهذا لا يمنع الأئمة من تجاوز ظاهر النص للغوص في مكنوناته معتمدين على باب المجاز في اللغة⁽³⁴⁾، ولذلك فهي أقرب الفرق إلى مذهب أهل السنة والجماعة⁽³⁵⁾، فهم يتفقون معهم في الكثير من أمور العقيدة، ويختلفون في القليل⁽³⁶⁾، ولذلك فمنهجهم وبرنامجهم التعليمي لم يختلف عن منهج المدرسة الفقهية السنية في أن القرآن الكريم هو أول ما يجب تعلّمه.

4-1 الفكر التربوي للمدرسة الإباضية: يختلف الإباضيون عن غيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى في عدم وجود مؤلفات خاصة بالفكر التربوي لهذه الفرقة، سواء في المشرق أو في المغرب الإسلامي، وعدم بروز شخصيات إباضية نظرت، وكتبت في فكرهم التربوي مثلما هو الحال بالنسبة للمدرسة التربوية السنية، وكل ما وجد من أفكار تتعلق بالتربية الإباضية، وهو عبارة عن نتف متفرقة على شكل سير (نظم) في مصادرهم، وربما ما دونه أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفرسطاني (ت 440 هـ/ 1049 م) حول نظام العزابة في بلاد المغرب بشقيه السياسي والتربوي يُعدّ أول ما دُون من الفكر التربوي الإباضي بشكلٍ منظمٍ ومتكامل⁽³⁷⁾.

ونظراً لكون الفرقة الإباضية حركةً سياسية معارضة للأُمويين ومن بعدهم العبّاسيين، فإنّها انتهجت في سبيل إنجاح حركتها مسالكاً مُعيّنة عُرفت عند الإباضيين بمسالك الدين هي، أربعة مسالكٍ أو مراحلٍ: مرحلة الظهور التي هي الأصل، وتعني حسب الدرجيني "تولية إمام عدل يسند إليه الأمور"⁽³⁸⁾، ثم مرحلة الدفاع، ومعناها: "أن يُدْهِم أهل الكتمان بدهمة، فيؤلّوا عليهم من يدفع عنهم العدو"⁽³⁹⁾، وذلك في حالة انتشار الطغيان والظلم، وفيها يكون الانتقال إلى الدفاع الذي يكون عن طريق ثورة يقودها إمام المسلمين، وفي حال فشلها أو عدم وجود استجابة لهذه الثورة تأتي المرحلة الثالثة هي، الشراء، وتعني: القيام بعمليات فدائية ضدّ الحُكّام بعيداً عن الأمنين، وإذا رضيت الأُمّة بالحكّام الجوّرة عليها، جاءت المرحلة الرابعة، وهي مرحلة الكتمان، وتعني: "ملازمة الأمر سرّاً بلا إمام"⁽⁴⁰⁾، وفيها يكون تنظيم المجتمع والعمل من أجل المحافظة على القيم الدينية.

وعلاقة هذه المسالك بالتربية والتعليم وطيدة؛ لأنّ كلّ مرحلة لها أهدافها المحدّدة، وطبيعة أنشطتها التربوية والتعليمية الخاصة بها⁽⁴¹⁾، وتمكّن الإباضيون بواسطة هذه المسالك من إقامة دولتين لهما، واحدة في المشرق (في اليمن، ثم سلطنة عُمان) والأخرى في المغرب الأوسط بتاهرت، وبعد زوال دولتهم في بلاد المغرب، استطاعوا عن طريق الكتمان الحفاظ على وجودهم في شكل أقلياتٍ منتشرة بجبل نفوسة بليبيا، وجزيرة جربة بتونس، ووادي ميزاب بغرداية وورقلة في الجزائر.

ويتميّز الفكر التربوي الإباضي بعمليّته أكثر من تنظيريته؛ لأنّه نشأ في ظلّ عقيدةٍ خاصّة لها أهدافٌ كبرى، وأهداف صغرى مرتبطة بالمرحل، ففي مرحلة الكتمان يكون

الهدف هو تكوين حَمَلَة العلم، وجلب الكوادر من مختلف المناطق وإرسال البعثات هدفًا أساسيًا⁽⁴²⁾، مثلما هو الحال بالنسبة لحَمَلَة العلم في المشرق أو المغرب الذين تلقوا العلم في البصرة على يدَي أبي عُبَيْدَة مسلم بن أبي كريمة التميمي (ت145هـ/762م)، أما في مرحلة الظهور فالهدف هو إقامة المجتمع الإباضي الموحد في عقيدته وسلوكه، والذي يمتاز بالتماسك في مواجهة التحديات المختلفة، وتحقيق هذه الأهداف "الصغرى" هو، تحقيق للهدف الأكبر المتمثل في إقامة "الإمامة العادلة" على النَسَق الإباضي⁽⁴³⁾، وعليه فأهداف التربية عند المدرسة الإباضية هي تحقيق الإمامة العادلة، وتثبيت المذهب والفقه الإباضي، وتخرج النخبة والتربية العملية للنضال المسلح، والتثقيف العام⁽⁴⁴⁾، والسؤال المطروح هو، إلى أي مدى يتوافق نظام العزابة الذي ظهرت معالمه عقب سقوط الدولة الرستمية، والعودة إلى طور الكتمان لدى الإباضية في المغرب الإسلامي منذ بداية القرن 4هـ/10م، وتبلور بشكل واضح في القرن 5هـ/11م مع أهداف المدرسة التربوية الإباضية، ذات الأصول المشرقية؟ وهذا ما سنعرفه لاحقًا في المحور الثاني من المقال.

5-1 المدرسة التربوية الشيعية الإسماعيلية: تنتهي هذه المدرسة إلى طائفة الشيعة الإمامية التي تؤمن بفكرة الإمامة، من أقدم الفرق السياسية التي تشيَّعت لعلّي- رضي الله عنه- ورأت أنه أوَّلُ بالإمامة من الخليفتين أبي بكر وعمر- رضي الله عنهما- والفرقة الإسماعيلية ترى أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه إسماعيل؛ لذلك تُعرف بهذا الاسم، وغيره من الأسماء كالسُّبُعِيَّة؛ لاختلافهم مع الإمامية الجعفرية الإثني عشرية في الإمام السابع، وتُعرف بالعُبَيْدِيَّة؛ نسبة إلى عُبَيْد الله المهدي (297-322هـ/909-934م) الذي ظهر ببلاد المغرب وحكمها، ومن بعده بنوه الذين ملكوا مصر⁽⁴⁵⁾، وعُبَيْد الله هو ابن الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن إسماعيل بن جعفر بن محمّد بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-⁽⁴⁶⁾، وتُعرف هذه الفرقة بالباطنية؛ لاعتقادهم بأن لكلِّ ظاهرٍ باطنٌ، ولكلِّ تنزيلٍ تأويلٍ⁽⁴⁷⁾.

اتَّبَعَ العُبَيْدِيُّونَ لإنجاح الدعوة إلى المذهب الإسماعيلي منهجًا خاصًا يُبالغ في التَّخْفِي لنشر تعاليمهم ومبادئهم بشكلٍ سرّي، فبرعوا في استخدام التُّقْيَة لتحقيق أهدافهم بين المسلمين، والتظاهر بالتَّقَشُّف والزُّهْد وكثرة الصلاة والصيام "يُعرِّفون النَّاسَ بذلك، وَهُمْ

على خلافه⁽⁴⁸⁾، واشتهروا بالورع والبلاغة والتّضلع في العلم، واستغلّوا مبدأ التّأويل لإنفار الناس من دينهم، وجذبهم لمبادئ مذهبهم، وربطهم به برباطٍ متين⁽⁴⁹⁾، وأنّ هذا المذهب وُجد لفهم حقيقة الدين الإسلامي وباطنه "أنّ المذهب الإسماعيلي دين الباطن، والإسلام دين الظاهر؛ لأنّ عليّاً صاحب التّأويل، ومحمّد- صلى الله عليه وسلّم- صاحب التّزويل"⁽⁵⁰⁾.

وعليه، فإنّ فكر العبّيين بشكلٍ عام والتربوي بشكلٍ خاص قائمٌ على أسسٍ فلسفيّة، ومناقضٌ تمامًا للمدرسة التبرويّة الفقهيّة ومعارضٌ لها، فعقيدتهم تُشكّل مذهباً فلسفياً باطنياً⁽⁵¹⁾؛ إذ اعتبروا دعوتهم عالميّة النطاق، وأنهم خلفاء الأرض التي تُشكّل مداهم ومنطقة حكمهم، فقَسَمُوا العالم إلى اثنتي عشرة جزيرة أو إقليم هي العرب، والترك، والبربر، والزنج، والحبشة، خزر الصين، فارس والروم، والهند، والسند، والصقالبة، وعَيّنوا لكلّ منها ما يسّعى عندهم بالحجّة، وهو كبير الدعاة في الإقليم المشرف على الدعوة فيه⁽⁵²⁾، فكان التعليم أسلوباً لنشر مذهبهم بين المسلمين.

6-1 المدرسة الظاهريّة: وهذه المدرسة تُنسب إلى "داود بن علي بن خلف أبو سليمان" الأصبهاني الأصل، ولد سنة 202 هـ/ 815 م بالكوفة، ونشأ ببغداد وقبره بها، وهو إمام أهل الظاهر⁽⁵³⁾، كان شافعي المذهب إلّا أنّه خالفه، وطريقته تتمثّل في الاعتماد على ظاهر النصوص الشرعيّة عكس أهل الرأي، ونفي الأصول الأخرى كالقياس والمصالح المرسلّة والاستحسان، وموقفه جاء كرّد فعل للذين تطرّفوا في الأخذ بالرأي، فكان موقفه متطرّفاً في الجانب الآخر بمنعه الأخذ بالقياس⁽⁵⁴⁾، وإن كان داود هو المنشئ الأوّل للمذهب الظاهري، فإنّ ابن حزم الأندلسي (ت 456 هـ/ 1052 م) هو المنشئ الثاني له؛ إذ تبنّى هذا المذهب، وكان له فضل تبليانه وتوضيحه؛ بل كان أشدّ تمسّكاً بالظاهريّة من داود نفسه⁽⁵⁵⁾، وإن كان هذا المذهب قد إندرس ولم يعدّ موجوداً، إلّا أنّه انتشر وازدهر في عهد الدولة الموحدية (541-668 هـ/ 1156-1269 م) أيّام يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (580-595 هـ/ 1185-1200 م)، فأعلن العمل به، وسار على ذلك من جاء من بعده⁽⁵⁶⁾.

2- أثر المدارس الفكرية التربويّة على التعليم في إفريقيّة والأندلس بين القرنين 4 و7 هـ/ 10 و13 م، تتمثّل في الآتي:

1.2- المدرسة التبروية السنية في إفريقية والأندلس: دخلت إلى إفريقية وبلاد الأندلس، وعرفت انتشاراً؛ من خلال مذهب الإمام مالك (مذهب أهل الحديث) بعد أن استقرّ في تلك الجهات، وغلب على صقلية، والمغرب الأقصى، وبلاد السودان⁽⁵⁷⁾، وعُلم ابن خلدون (ت808هـ/1406م) سبب انتشاره؛ بأنّ رحلة أهل المغرب والأندلس في طلب العلم كانت أغلبها إلى بلاد الحجاز والمدينة التي كانت داراً للعلم، ولم يكن العراق في طريقهم وشيخهم كان مالكا؛ إمام دار الهجرة، وأضاف إلى ذلك طُغيان طابع البداوة على أهل العُدوتين المغربية والأندلسية، "وأما مالك- رحمه الله- فاخصّ بمذهبه أهل المغرب والأندلس... [و]أيضاً، فالبداوة كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصّاً عندهم، ولم يأخذ تنقيح الحضارة وتهذيبها، كما وقع في غيره من المذاهب"⁽⁵⁸⁾.

وهناك من يُخالف هذا الرأي؛ إذ أنّ الأقطار الثلاثة التي وسّمها ابن خلدون بالبداوة هي على النقيض من ذلك، ويضرب مثلاً بالحجاز التي كانت لها الصّدارة في العلوم النّقليّة، وإنّ كانت العراق قد فاقت الحجاز في العلوم العقليّة⁽⁵⁹⁾، وهذا الرأي متعلّق ببلاد الحجاز فقط التي عرفت مهبط الوحي، وانبعث الرسالة الإسلامية منها إلى الإنسانية كافة، أمّا بالنسبة للمغرب والأندلس، فابن خلدون لمّا وصفها بالبداوة لعلّه كان يقصد تشابه أهل هذه البلاد مع العرب (أهل الحجاز) قبل البعثة النبويّة؛ إذ كانوا على فطرتهم، وكذلك كان أهل العُدوتين، فمذهب مالك هو الملائم لعقليّتهم لسهولته وبساطته، وميلهم الفطريّ إلى البساطة في كلّ شيء⁽⁶⁰⁾.

وبالعودة إلى المدرسة الفقهيّة السنية في إفريقية في القرن 4هـ/10م، فإنّها كانت متأثرة بالبيئة المالكيّة التي كانت سائدة في القيروان منذ منتصف القرن 2هـ/8م؛ إذ يتفق إبراهيم العبّيدي التوزري مع أحمد فؤاد الأهواني في أنّ المرثون في إفريقية اعتمدوا في التّربية والتعليم منهج الفقهاء، وتأثروا به، واعتمدوه في فقه العبادات والمعاملات في الحياة اليوميّة⁽⁶¹⁾، ويعطي التوزري أمثلة ممّا ورد في كتاب "رسالة آداب المعلّمين" لمحمد بن سُحنون (ت256هـ/870م)، وكتاب "الرسالة المفصّلة لأحوال المتعلّمين وأحكام المعلّمين

والمُتعلِّمين" لأبي الحسن بن علي القاسبي (ت403هـ/1012م)، فهما متبعان بطريقة تكاد تكون آليّة لمنهج فقهاء الحديث بالمدينة⁽⁶²⁾.

ويشير الأهواني إلى أنّ حال تعليم الصبيان في الكتّاب بإفريقيّة، على عهد القاسبي في القرن 4هـ/10م لم يختلف كثيرًا عمّا كان عليه في زمن ابن سحنون، والطريقة التي وصّفَ بها القاسبي التعليم في إفريقيّة مُطابقة لما ذكره ابن خلدون في مقدّمته عن التعليم في هذا البلد، المتمثلة في بدء الصبي بتعلّم القرآن والكتابة والخطّ، وشيء من النّحو والإعراب، على أنّهما بالإضافة إلى الشّعور والحساب غير لازمين إلّا إذا تطوّر المعلّم من عند نفسه⁽⁶³⁾.

وهذه المدرسة سواءً في إفريقيّة أو الأندلس تمكّنت من الصُّمود ومجابهة التحديات التي وقفت في وجهها خلال فترة الدراسة من القرن 4 إلى 7هـ/10-13م، باستخدامها للتعليم كوسيلة للدِّفاع عن العقيدة الإسلاميّة الصحيحة، ومحاربة الفرق الهدّامة المعاديّة للإسلام كالباطنيّة أو تلك المعارضة لأهل السنّة والجماعة كالخوارج والشيعة والمعتزلة... وغيرهم، فانتعش نشاط التعليم في مختلف أماكنه المعروفة في مقدّماتها، الكتاتيب والمساجد، والأربطة، والمنازل، وبعض الأماكن العامّة، وحتّى المدارس التي ظهرت متأخّرة في إفريقيّة والأندلس مقارنة بنظيرتها في المشرق الإسلامي⁽⁶⁴⁾.

ويبدو أنّ الاختبار الحقيقي للمدرسة التبرويّة السنيّة كان في إفريقيّة التي عرّفت تنوعًا وصراعًا مذهبيًا أكثر من الأندلس التي امتازت إلى حدٍّ ما بالوحدة المذهبيّة، فنجاح الدعاية الشيعيّة هناك كان محدودًا جدًّا نظرًا لقوّة الحزب الأموي، ونجاحه في إصباح الأندلس بلون أموي مثلما كان حال نظرائهم في المشرق الإسلامي من جهة، وتأصيل كراهتهم للشيعيّة في نفوس الرعيّة من جهة أخرى⁽⁶⁵⁾، ومع ذلك فإنّ التّشيع في الأندلس كان له جذور مُبكّرة؛ ففي زمن الدولة الأمويّة (138-422هـ/755-1031م) أوّل من قام بثورة شيعيّة ضدها كان مُعلّم صبيان أصله من لجدانيّة (وادي الحجارة بالقرب من مجريط (مدريد)، وكانت أمّه تُسمّى "فاطمة"، فادّعى أنّه فاطمي، وتسمّى بـ"عبد الله بن محمّد"، وكانت ثورته أخطر الثورات وأطولها ضدّ عبد الرحمن الداخل (140-172هـ/758-789م)؛ إذ دامت من 151 حتّى 160هـ/768-777م⁽⁶⁶⁾، وهذا يوحي إلى أنّ الشيعة في الأندلس انتهجوا نفس الأسلوب

الذي اتخذهم داعيهم في بلاد المغرب، وهو التَّخْفِي وراء التعليم، واتَّخاذه وسيلة لتحقيق أهدافهم الخفية.

ومنذ القرن 4هـ/10م تسرَّبت عقائد الباطنية إلى الأندلس، من خلال ابن مَسَرَّة القرطبي (ت319هـ/931م) الذي قضى فترة من حياته الدراسية بالقيروان، حين بلغ فيها نشاط الدعوة الفاطمية بها أوجَّه من الناحيتين السياسية والعقائدية⁽⁶⁷⁾، وعرفت الحياة الفكرية نوعاً من الحرية سمح بعودة الكثير من العقائد الشيعية، كما كانت بغداد من أهم مراكز الشيعة بعد سيطرة بني بُويه عليها سنة 334هـ/945م، وهُم من غلاة الشيعة، وسيطرت في عهدهم شتَّى ألوان الثقافة الشيعية، وانتقل من بغداد إلى الأندلس الكثير منها كرسائل إخوان الصفا، وازدادت صلة الأندلس بشمال إفريقيا التي كانت تحت سيطرة الشيعة الفاطميين⁽⁶⁸⁾.

ومنذ منتصف القرن 5هـ/11م تحوَّلت الأندلس إلى مسرحٍ للصراع بين الشيعة وملوك الطوائف، فضلاً عن هجمة الصليبيين؛ ممَّا أدَّى إلى تدخُّل فقهاء المدرسة المالكية لنجدة المسلمين مُجَسِّدة ذلك التدخُّل في دولة المرابطين سنة 479هـ/1086م⁽⁶⁹⁾، وجدير بالإشارة هنا إلى أنَّ المدرسة الفقهية المالكية عرفت أَوْجَ إشعاعها في هذه الفترة⁽⁷⁰⁾، من خلال الرحلة في طلب العلم التي كان يقوم بها أصحاب مالك من المغاربة بشكلٍ عام للقاء رجال العلم من أهل المشرق كالقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي (ت422هـ/1031م) الفقيه المالكي، قال عنه الخطيب البغدادي: "ما رأيتُ من المالكيين أحداً أفقه منه"⁽⁷¹⁾، خرج من بغداد، وكانت نيَّته الذهاب إلى القيروان والأندلس، لكن المنية عاجلته بمصر⁽⁷²⁾، وذكر البُنَّاهي أنَّه تفقَّه عليه جماعة من أهل الأندلس منهم، القاضي ابن شَمَّاخ الغافقي، وصاحبه مهدي بن يوسف⁽⁷³⁾، له مجموعة من المؤلَّفات عرفت رواجاً عند أهل العدوتين، وصارت حجر الزاوية في المناهج الدراسية عندهم⁽⁷⁴⁾، ومنها كتاب التَّلَقُّين، وكتاب شرح الرسالة والنُّصرة لمذهب دار الهجرة، وكتاب المعونة وأوائل الأدلَّة في مسائل الخلاف بين فقهاء الملة، وكتاب الإشراف على نكت مسائل الخلاف، وكتاب الإفادة في أصول الفقه، وغيرها⁽⁷⁵⁾.

وانتعثت المدرسة الفقهية المالكية أيضًا من خلال نشاط الفقهاء، خاصة في مجالي التدريس والتأليف، وكانت "مُدَوْنَة" سحنون، و"مُوطَا" مالك أهم الكتب المعتمدة في التدريس⁽⁷⁶⁾، فضلًا عن كتب الفروع الأخرى، ونذكر من بين فقهاء المالكية ممن تفرغ للتدريس، وكان أكثرهم حرصًا على التعليم⁽⁷⁷⁾ أحمد بن محمد بن رزق الأموي (ت477هـ/1084م)، ومن بين المؤلفات التي كُتبت للدِّب عن مذهب مالك كتاب "ترتيب المدارك وتقريب المسالك" للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت544هـ/1150م)، وقد أورد في الأبواب الأولى من كتابه فضل المدينة، ومذهب مالك، وترجيحه من طريق النقل والاعتبار والنظر، فيقول: "اعلموا وفقكم الله تعالى أن ترجيح مذهب مالك على غيره وأنافه منزلته في العلم وسؤ قدره من طريق النقل والأثر لا ينكره إلا مُعاند أو قاصر"⁽⁷⁸⁾.

أما في إفريقية، على الرغم من أن النشاط التربوي للمدرسة السنية أثناء العهد العبيدي (296-361هـ/909-972م)، قد تراجع وانحسر بعض الشيء في المساجد، بسبب السطوة الشيعية على دور العبادة مثل جامع القيروان، إلا أن ذلك لم يمنع فقهاء المالكية من التحدي ومواصلة النشاط التعليمي⁽⁷⁹⁾ في أماكن أخرى بعيدًا عن أنظار العبيديين كمنازل العلماء الذين تعرضوا للسجن والتعذيب، ومنهم الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي (ت359هـ أو 361هـ)، الذي كان عالمًا بعلم الكلام والرد على المخالفين، تعرض للضرب والسجن بسبب تأليفه كتاب الإمامة⁽⁸⁰⁾، وكان يُشترط على من يُطلق سراحه بعدم التدريس أو الفتوى في المساجد وملازمة منزله، وعدم الخروج منه إلا للصلاة⁽⁸¹⁾ مثل الفقيه أبو بكر بن اللباد (ت333هـ/945م) الذي واصل نشاطه التعليمي خفية في منزله، وكان الطلبة يأتون خلسة إلى داره، "وربما يحملون كتبهم في أوساطهم حتى تبتل بأعراقهم"⁽⁸²⁾، ولم يكتف بالتدريس فقط؛ بل له مؤلفات تدافع عن عقيدة أهل السنة ومذهب مالك على وجه التحديد، وهي كتاب عصمة النبيين، وهو إثبات الحجة في بيان العصمة، ويبدو أن هذا المؤلف جاء للرد على ادعاء بني عبيد في عصمة أئمتهم، وكتاب فضائل مالك، وغيرهما⁽⁸³⁾، ونذكر أيضًا أبو علي الحسن بن نصر السوسي (ت341هـ/953م) الذي كان طلبة العلم يجلسون إليه في داره⁽⁸⁴⁾.

كما اتّجه الفقهاء المالكيّة للتأليف ردّاً على أهل الرّفص والأهواء والبِدْع، والدّفاع عن مذهب مالك، مثل الفقيه أبي محمّد بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)، يُعدّ بحقّ من رُواد المدرسة الفقهيّة المالكيّة بإفريقيّة، حتّى أنّه يُعرف بمالك الصّغير، رحل إلى المشرق، واستجازه عدد من شيوخ بغداد، عندما رجع إلى إفريقيّة كان يأتيه طلاب العلم من مختلف الأقطار⁽⁸⁵⁾، أحصى له القاضي عياض تسعة وعشرين مؤلّفاً منها: كتاب النوادر والزيادات على المدوّنة في أزيد من مائة جزء، وكتاب مختصر المدوّنة، وهما المعلّولان عليهما في دراسة الفقه في المغرب⁽⁸⁶⁾، ومن كتبه التي ألّفها دفاعاً عن مذهب مالك وعقيدة أهل السنّة كتاب "الإفتداء بأهل السنّة"، وكتاب "الذبّ عن مذهب مالك"⁽⁸⁷⁾، وكتاب تفسير أوقات الصلوات، وكتاب فضل قيام رمضان، والملاحظ من عناوين هذه الكتب أنّها جاءت للردّ على الشيعة الذين لهم أراؤهم في صيام رمضان، وفي إبطال صلاة التراويح⁽⁸⁸⁾.

والواضح أنّ رحيل العبّديين إلى مصر أدّى إلى استعادة المدرسة التبرويّة المالكيّة مكانتها في مساجد القيروان وإفريقيّة قاطبة، خاصّة في عهد المعزّ بن باديس (406-453هـ/1015-1061م) الذي تادّب في صغره على يدي أبي الحسن علي بن أبي الرّجال الشّيباني (ت حوالي 432هـ/1040م)، فحبّب إليه مذهب السلف الصالح من أهل السنّة، ممّا كان له أثره في كبره عندما أصبح على رأس الدولة الزيّريّة (361-543هـ/972-1148م)، حيث قام بخلع طاعة بني عبّيد، وإعلان الولاء لبني العبّاس في بغداد⁽⁸⁹⁾، ونشط الفقهاء المالكيّة في تدريس الناس، وتفقههم على مذهب مالك، ومنهم أبو محمّد عبد الله بن إسحاق المعروف بابن التّبّان (ت371هـ/981م)، الذي كان من أشدّ الناس عداوة لبني عبّيد وحلفائهم من بني زيّري⁽⁹⁰⁾، وأبو القاسم بن شبلون (ت390هـ/999م) الذي كان الاعتماد عليه بالقيروان في الفتوى والتدريس بعد ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)⁽⁹¹⁾، وكلّ ذلك كان قبل أن تتعرّض القيروان إلى الخراب على إثر زحف الأعراب من بني هلال وبني سُليم، وذلك ما ذكره ابن خلدون، مشيراً إلى رواج التعليم بقرطبة قبل زوال مُلك المسلمين منها، قائلاً: "وذلك أنّ القيروان وقرطبة كانتا حاضرتيّ المغرب والأندلس، واستبحر عمرانهما، وكان فيهما للعلوم والصناعات أسواقٌ نافقة وبحورٌ زاخرة، ورسخ فيهما التّعليم لامتداد

عصورهما، وما كان فيهما من الحضارة، فلمّا خربنا انقطع التعليم من المغرب إلّا قليلاً كان في دولة الموحّدين بمراكش مستفاداً منها⁽⁹²⁾.

وفي عهد الدولة الحفصيّة (625-893 هـ/ 1228-1488 م) استفادت المدرسة التبريّة المالكيّة في إفريقيّة من محاولة نشر العقيدة الموحّديّة القائمة على المذهب الظاهري بين غالبية السكّان المتمسّكين بالمذهب المالكي، عن طريق بناء المدارس؛ إذ قام الأمير أبو زكرياء ابن عبد الواحد بن أبي حفص (يحيى الأوّل) (624-646 هـ/ 1228-1249 م) بتشديد المدرسة الشمّاعيّة سنة 633 هـ/ 1235 م لتكون أوّل مدرسة في إفريقيّة لتدريس العقيدة الموحّديّة أو تعاليم إمام الموحّدين المهدي بن تومرت، وهو المذهب الرسمي للدولة، لكنّها تحوّلت للتدريس وفق المذهب المالكي، فحال الأسرة الحفصيّة الحاكمة كان أشبه بالأسرة الزيّريّة؛ إذ لم تجد بُدّاً من التحوّل إلى مذهب العامّة المالكي، ومُسايرة الوضع بالتعامل مع العلماء المالكيّة للحفاظ على شعبيّتها⁽⁹³⁾.

وعليه، فإنّ دور المدرسة التبريّة الفقهيّة في الدفاع عن المذهب المالكي برز جليّاً في الأندلس على عهد المرابطين (448-541 هـ/ 1056-1147 م)، وفي إفريقيّة على عهد الفاطميّين (296-361 هـ/ 909-972 م) الذين حاولوا فرض العقيدة الإسماعيليّة على أهل البلاد بالقوّة، واستمرّ الأمر كذلك أثناء تولّي بني زيري السلطة من بعدهم، وذلك من خلال نشاط الفقهاء المالكيّة، عن طريق الرحلة إلى المشرق لطلب العلم ولقاء المشايخ، ثمّ العودة إلى بلادهم للتدريس والتأليف، وبمناظرة الخصوم خاصّة من بني عبّيد الذين سمّاهم أصحاب هذه المدرسة في إفريقيّة بالمشاركة⁽⁹⁴⁾.

2.2 المدرسة التبريّة الشيعيّة في إفريقيّة: يهدف التعليم الفاطمي إلى خدمة الدعوة الإسماعيليّة أينما حلّت، وتثقيف النّشء بثقافة ذات صبغة دينيّة شيعيّة، والإخلاص للدولة الإسماعيليّة، وللخليفة الذي هو الإمام الأكبر⁽⁹⁵⁾، وعلى الرغم من أنّ العبّيديّين ظهروا لأوّل مرّة في بلاد المغرب إلّا أنّ قِصَر فترة حكمهم هناك، وقيام الثّورات ضدّهم وأبرزها ثورة أبي يزيد الخارجي (336 هـ/ 947 م)، بالإضافة إلى دور المدرسة التبريّة المالكيّة في التصديّ لفكرهم المعادي والمخالف لمذهب العامّة من أهل إفريقيّة، كلّ هذه العوامل لم تسمح بتبلور نظامهم التعليمي بشكلٍ واضح⁽⁹⁶⁾؛ إذ دام وجودهم هناك حوالي نصف قرن؛

أي أربع وستون سنة وعشرة أشهر، كما يذكر النُويري⁽⁹⁷⁾، غير أن هذا لم يمنع من وجود إشارات تدلّ على اهتمامهم بالعلم والعلماء منذ وجودهم بإفريقيّة؛ إذ نجد في كتبهم ذكر فضل العلم، وحثّ على طلبه من الأئمة، مثلما كتبه القاضي النعمان (ت363هـ/974م) في كتابه "دعائم الإسلام"⁽⁹⁸⁾، وما ذكره أيضًا في كتابه "المجالس والمسائرات" في أحد مجالسه مع الخليفة الفاطمي المعزّ لدين الله (341-365هـ/953-976م) الذي أشار على جماعة من جلسائه بأن يسألوه عن أمر دينهم وعما ينتفعون به قائلاً: "سألونا عن أمر دينكم، ولا تهيبوا أن تسألوا، فإنّ عندنا لكلّ ما تُريدون جوابًا كافيًا وعلمًا شافيًا"⁽⁹⁹⁾، وعلى العموم، فإنّ التعليم الفاطمي في إفريقيّة تميّز بالخصائص التالية:

كانت مرحلة تعليم الصبيان عند العبيديّين مواكبة لروح العصر السائدة آنذاك تبدأ في الكتاب، ويشير عبد الله فيّاض إلى وجود تقارب بين نظاميّ التعليم الأوّل عند السنّة والشيعة بشكل عام، وهو لا يجزم بوجود كتابيّ خاصّة بالشيعة؛ لأنّه لم يكن هناك اختلاف كبير في مواد الدراسة الأولى التي يتلقاها الصبيّة، سواء الشيعة أو السنّة⁽¹⁰⁰⁾، وهذه المواد غالبًا ما تشمل تحفيظ القرآن، وتعليم الخطّ واللغة، وبعض الشعر، وشيء من الحساب، ويبدو أنّ العبيديّين لم يتردّدوا في إرسال أبنائهم للكتاتيب السنيّة في إفريقيّة، خاصّة وأنّه لم يكن لديهم هناك قبل قيام دولتهم مدارس ومعاهد خاصّة بهم للتعليم⁽¹⁰¹⁾، ولم يستطيعوا توفير الجوّ التربوي المناسب لصبيانهم؛ خاصّة وأنّ فقهاء المالكيّة في القيروان وقفوا بالمرصاد للمذهب الإسماعيلي منذ وطئ أرضهم، ولذلك "يبدو أنّهم خضعوا للأمر الواقع، وأرسلوا أولادهم للكتاتيب السنيّة متذرّعين بمبدأ التقية"⁽¹⁰²⁾، فاتّخذوا من مهنة التعليم في الكتاتيب السنيّة واسطةً لنشر تعاليمهم بين أفراد العامة وجذبهم إليهم.

وإذا كان هناك تشابه بين السنّة والشيعة في مناهج التعليم في الكتاب؛ فإنّ الاختلاف الجوهرى بينهما كان في تعليم العلوم⁽¹⁰³⁾؛ فالعلوم الشرعيّة كانت مختلفة في المنهج عن مدرسة أهل السنّة؛ إذ كانت تُدرّس وفق المنظور العبيدي، خاصّة بالنسبة للحديث المروي عن طريق الأئمة، وكغيرهم من الحركات السريّة كان لهم كتبهم الخاصّة في الفقه الموروثة

عن الأئمة، والتي يجب على المدرسين والطلبة التقيد بها، وحفظها وتدارسها ككتاب "دعائم الإسلام"، و"افتتاح الدعوة"، وكتاب "سرائر وأسرار النطقاء" الذي ألفه الداعي جعفر بن منصور اليماني (ت380هـ/990م)، وغيرها.

تميز التعليم العبيدي بنوعين: ظاهر وباطن، ظاهر يُبسط على الناس كلهم، وباطن يختص به بعضهم من "المؤمنين"، بمقدار بُعدهم أو قُرْبهم من رأس هرم العلم، وهو الإمام الذي يتوارث العلم كابرًا عن كابر، حسب ما أشار إليه القاضي النعمان⁽¹⁰⁴⁾، كما أن التعليم وإدارته كان بيد الإمام، سواءً ظاهرًا أو باطنًا، وقد يوجد من يقوم بالتدريس نيابةً عن الإمام، إلا أنه من يقوم بامتحان الدارسين⁽¹⁰⁵⁾؛ فالقاضي النعمان كان يلقي المحاضرات التي اهتم بإعدادها الخليفة المعز نفسه، وإلقائها على مسامع الحاضرين من الناس، سواءً من السنة أو الشيعة في المسجد؛ لذلك فهي تسمى بمجالس المسجد⁽¹⁰⁶⁾، ولعل أهم وسائل التعليم التي برزت في الدور المغربي للدولة العبيدية (296-361هـ/909-972م) ما يسمى بـ"مدارس الدعوة"، وهي ليست مدارس بمعناها المتعارف عليه، بل هي عبارة عن حلقات تتم في المساجد الكبيرة والجامعة في مدينة المهدية على عهد الخليفة المهدي (297-322هـ/909-934م)، وابنه القائم بأمر الله (322-334هـ/934-946م)، وفي مدينة المنصورية في زمن المنصور (334-341هـ/946-953م)، وابنه المعز لدين الله الفاطمي (341-362هـ/953-973م)، وحظيت هذه المدارس بالرعاية من طرف الزيريين، وهي خاصة بتبليغ حقيقة المذهب الإسماعيلي⁽¹⁰⁷⁾، وهذه الحلقات هي أساس مجالس الحكمة التي ظهرت في مصر بعد انتقال العبيديين إليها⁽¹⁰⁸⁾، وفي هذه المدارس يتم تدريس علوم الباطن.

3-2 المدرسة التبروية الإباضية بإفريقية: من الواضح أن التعليم الإباضي لم يختلف عن غيره من الفرق الإسلامية في اتخاذ الكتاتيب لتعليم الصبيان في المرحلة الأولى، والثانية في المساجد؛ حيث يتلقى طلبة العلم مختلف العلوم السائدة في ذلك العصر، وذلك فيما عُرف في العهد الرستمي بالحلقات والمجالس العلمية التي كانت تُقام بالمساجد⁽¹⁰⁹⁾ وبالنسبة

للمواد الدراسية لم تختلف عن برامج التعليم السائد في ذلك العصر، غير أنها مُكَيَّفَةٌ من الناحية الدينية وفق المنظور الإباضي؛ حيث يتم التركيز بشكل خاص على الكتب التي تتضمن العقيدة الإباضية، والحديث النبوي الشريف، والتاريخ الإباضي⁽¹¹⁰⁾.

والظاهر أنَّ المجتمع الإباضي، سواءً في المشرق أو المغرب الإسلاميين لم يعرف المدرسة بمفهومها المتعارف عليه في ذلك الوقت، والتمثّل في المدارس النظامية أو المستقلة الفقهية أو دور الحديث أو حتّى الطّبيّة، على شاكلة مدارس بغداد أو دمشق أو القاهرة⁽¹¹¹⁾، إلّا أنَّ هذا اللفظ (المدرسة) استعمل مجازاً عند الإباضية للدلالة على مختلف الأماكن المرتبطة بالتعليم مثل المسجد والحلقة والزاوية، وغيرها؛ أي أنها مشتقة من المعنى الواسع لكلمتي الدِّراسة والتّدريس، وبذلك فإنّ المدرسة الإباضية كانت ذات أبعاد ثلاثة: "يتمثّل البعد الأول في الهياكل والمساجد والمصليات والدور، أمّا البعد الثاني فيتمثّل في التعليم الخاص والعام الذي يتمّ بهذه الهياكل، وأمّا الثالث فيتمثّل في التحرك والانتقال بهذا العلم من مكانٍ إلى آخر، ويقوم بهذا الدور العلماء والمشائخ والمربّون"⁽¹¹²⁾، ولذلك يمكن اعتبار مدرسة البصرة في العراق التي درّس فيها حملة العلم النموذج الذي على أساسه أقاموا مدارس أكثر تنظيماً ونجاحاً، على الرّغم من بساطتها في بلاد المغرب، وتحديداً بجبل نفوسة والجريد وجربة.

ويبدو أنّ أهمّ ما ميّز المدرسة التّربويّة الإباضية في إفريقية منذ القرن 4هـ/ 10م هو بروز نظام العزّابة الذي بواسطته تمكّن الإباضية من ضمان بقاء مذهبهم، ويمكن أن نُعرّف هذا النظام بأنّه عبارة عن مجموعة قوانين ذات طابع إصلاحي تعليمي تربوي تنظّم المجتمع الإباضي، وظلّت شفهيّة لأسباب أمنية تداولها مشايخ الإباضية إلى بداية القرن 5هـ/ 11م، عندما قام العالم الإباضي محمّد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي⁽¹¹³⁾ بتدوينها سنة 409هـ/ 1018م⁽¹¹³⁾، وهذا النظام عرفته أغلب المراكز التي أوى إليها الإباضية في بلاد المغرب بعد سقوط دولتهم هناك، ولعلّ أهمّ ما ميّز هذا النظام هو الجانب التّربوي منه، المتمثّل أساساً في حلقة العزّابة التي كانت في بداية أمرها متنقّلة تُقام في أيّ مكانٍ سريّ بعيداً عن أنظار

السلطة الحاكمة، ثم بدأت في الاستقرار تدريجياً عندما قام أبو عبد الله بن أبي بكر بإقامة بناء خاص للطلبة⁽¹¹⁴⁾، والذي تمثل في الغار "التسعي"؛ نسبة إلى سنة 409 هـ/1019 م، وهي السنة التي بُني فيها⁽¹¹⁵⁾، ثم استقرت بعد ذلك في المسجد منذ القرن 6 هـ/12 م⁽¹¹⁶⁾.

ودراسة نظام حلقة العزابة من الناحية التربوية والتعليمية أكبر من أن تسعها هذه الصفحات، وقد تناولها بالدراسة والتحليل العديد من الباحثين⁽¹¹⁷⁾، لذلك أكتفي بالإشارة فقط إلى أنه لم يختلف من الناحية التعلّميّة والتّعليميّة عما يسمّيه معظم المؤرّخين وأهل الاختصاص بالتعليم الإباضي في مرحلة الظهور، من حيث طرق وأساليب التدريس والمناهج ومواد الدراسة، غير أنّ أهمّ ما انفردت به "مدارس" العزابة توزيعها للمتعلّمين توزيعاً خاصاً، حسب نموّهم الزمني والعقلي، ممّا سهّل للقائمين على التعليم وضع مناهج مناسبة للعمر العقلي لكافة المتعلّمين دون إقصاء، حتّى لفئة العجزة الذين يدخل ضمنهم العميان والصُّم، وذوي الفهم القاصر، وغيرهم، وهذا ما لم تتمكّن من إقامته المدارس الحديثة⁽¹¹⁸⁾.

وهناك نقطة مُلفتة أشار إليها الباحث صلاح الدين شعباني تتمثّل في أنّ المتعلّمين في هذه المرحلة يتعلّمون إضافة إلى العلوم سالفه الذكر المتمثّلة في علوم القرآن، وغيرها... يدرسون أيضاً ما سمّاه الباحث "علم السياسة والقيادة"، وهو نفس النظام الذي كان معمولاً به في تكوين حملة العلم⁽¹¹⁹⁾؛ فهذا يجعلنا نتساءل: أيّ نوع من علم السياسة والقيادة الذي تقدّمه هذه المدارس؟ وهل المقصود بذلك تكوين نُخبة من القادة لإدارة شؤون المجتمع الإباضي؟ والإجابة على هذه الأسئلة نجدها في الأساس الذي قام عليه نظام العزابة ككل؛ كونه يسعى للحفاظ على بقاء جماعة الإباضية كوحدة قائمة في المجتمع الإسلامي، وفرض وجودها بشكل خاص في مرحلة الكتمان، دون أن تتخذ طابع الدولة أو أيّ نوع من الحكم أو النظام سياسي⁽¹²⁰⁾.

خاتمة: من خلال العرض السابق توصّلنا إلى النتائج التالية:

- 1- المدارس الفكرية التربوية الناشئة في المشرق الإسلامي أثّرت تأثيراً مباشراً على تلك التي ظهرت في كل من إفريقية والأندلس؛ فالمدرسة الفقهية السنيّة ظهر تأثيرها من خلال تمسك المغاربة بشكل عام، والأندلسيين بمذهب الإمام مالك بن أنس.
 - 2- الإنتاج الفكري التربوي للمدرسة الفقهية السنيّة يعدّ غزيراً مقارنة بالإنتاج التربوي لدى الغبيديين والإباضيين، من خلال المؤلفات التي صنّفها رواد المدرسة التربوية الفقهية، سواء في المشرق أو إفريقية والأندلس في باب العلم وفضله، وفي آداب العالم والمتعلّم، وصنّف أصحاب مالك المؤلفات المدافعة عن المذهب، والكتب الشارحة لفقهه.
 - 3- اتّخذ الشيعة الكتائب السنيّة وممارسة وظيفة تأديب الصبيان وسيلةً لتحقيق أهدافهم، وهذا ما يتوافق مع ما كتبه "إخوان الصفا" في جانب التعليم، بالتركيز على النشء وفئة الشباب؛ كونهم الأكثر قدرة على تلقي التعليم الصحيح في نظرهم.
 - 4- الفكر التربوي الإباضي يغلب عليه الطابع العملي أكثر من التنظيري، وما تمّ التوصل إليه من أفكار تربوية لدى هذه المدرسة يتجسّد في حلقة العزّابة التي لها علاقة بما كانت تقدّمه مدرسة البصرة أيام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ومن المستبعد أنّ "المدارس الإباضية" بإفريقية تكرر لنموذج مدرسة البصرة، وتميّزت الحلقة بنظام تربوي يشمل جميع فئات المجتمع من المتعلّمين، بما فيهم ذوي العاهات أو من نسّمهم بـ"ذوي الاحتياجات الخاصة".
 - 5- دور المدرسة التربوية الفقهية في الدفاع عن المذهب المالكي برز جلياً في الأندلس على عهد المرابطين (448-541 هـ/1056-1147 م)، وفي إفريقية على عهد الفاطميين (296-361 هـ/909-972 م) الذين حاولوا فرض العقيدة الإسماعيلية على أهل البلاد بالقوة، من خلال نشاط الفقهاء المالكية، عن طريق الرحلة إلى المشرق لطلب العلم ولقاء المشايخ، ثم العودة إلى بلادهم للتدريس والتأليف.
 - 6- استفادت المدرسة التربوية الفقهية من إقامة المدارس في إفريقية أثناء العهد الحفصي، لتدريس عقيدة الموحّدين (المذهب الرسمي للدولة)، وسرعان ما تحوّلت لتدريس المذهب المالكي (مذهب العامة)، ما يفسّر اندثار المذاهب الدخيلة وزوال الكيانات التي حاولت فرضها، باستثناء الإباضية الذين حافظوا على بقائهم من خلال حلقة العزّابة.
- الهوامش:

- 1- عمر سليمان الأشقر- المدخل إلى دراسة المذاهب والمدارس الفقهية- ط2 - دار النفائس للنشر والتوزيع- عمان -الأردن- 1481هـ/1998م- ص 11 ---- 2- نفسه- 3- محمد أبو زهرة- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية- دار الفكر العربي- القاهرة- د. ت- ص 248.
- 4- أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني(ت548هـ/1153م) -الملل والنحل- تج: عبد العزيز محمد الوكيل- ج2- مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع- القاهرة- 1337هـ/1968م- ص 11. 5- الشهرستاني- المصدر نفسه- ص 12.
- 6- يعي حسن علي مراد - آداب العالم والمتعلم عند مفكر الإسلام من منتصف القرن الثاني للهجرة وحتى نهاية القرن السابع- رسالة ماجستير في الفلسفة الإسلامية - إشراف: مصطفى محمد حلبي- جامعة القاهرة- كلية دار العلوم قسم الفلسفة الإسلامية- 1420هـ/2001م- ص 117. 7- عبد الرحمن عثمان حجازي- التربية الإسلامية في القيروان في القرون الهجرية الثلاثة الأولى - ط1- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت - 1417هـ/1997م- ص 208.
- 8- صفية ديب- التربية والتعليم في المغرب والأندلس في عصر الموحدين بين القرنين 6-7هـ/12-13م - ط2 - مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع- الجزائر - 1439هـ/2017م - ص 43. 9- يعي حسن علي مراد- مرجع سابق- ص 117. 10- نفسه- ص 118. 11- إبراهيم العبيدي التوزي - تاريخ التربية بتونس- ج1- الشركة التونسية للنشر والتوزيع- د. ت- ص 89.
- 12- عبد الرحمن عثمان حجازي - التربية الإسلامية- ص 209. 13- أبو حامد الغزالي- المنقذ من الضلال- تج: عبد الحلیم محمود- دار الكتب الحديثة- مصر- د. ت- ص 137. 14- عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح- فتاوى ابن الصلاح - تج: موفق عبد الله عبد القادر - ط1- ج1- مكتبة العلوم والحكم - عالم الكتب- بيروت- 1407هـ/1987م- صص 209، 210.
- 15- ابن الصلاح- المصدر نفسه- ص 210. 16- نفسه- ص 211. 17- أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي- تاريخ بغداد- تج: بشار عواد معروف- ط1- ج3- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1422/2002م- ص 35. 18- يعي حسن علي مراد- مرجع سابق- ص 142. 19- أبو العباس شمس الدين بن أبي بكر بن خلكان - وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تج: إحسان عباس - ج1- دار صادر- بيروت- د. ت- ص 92. 20- يعي حسن علي مراد- مرجع سابق- صص 157، 158.
- 21- أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي- ترتيب المدارك وتقريب المسالك- تج: سعيد أحمد أعراب- ط1- ج6- مطبعة فضالة المحمدية المغرب- 1983-1981- ص 215. 22- نفسه- ص 218. 23- نفسه- ج7- ص 96. 24- ابن خلكان- مصدر سابق- ج7- ص 66.
- 27- عياض- مصدر سابق- ج8- ص 127. 28- أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي- جامع بيان العلم وفضله- تج: أبي الأشبال الزهيري- ط1- ج1- دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية - 1414هـ/1994م- ص 431. 29- نفسه- ص 455.
- 30- نفسه- ص 501. 31- عبد الرحمن حجازي- تطوّر الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري- ط1- المكتبة العصرية للطباعة والنشر - صيدا - بيروت 2000م/1421هـ - ص 210-213.
- 32- فرحات الجعيري- دور المدرسة الإباضية في الفقه والحضارة الإسلامية- دار الجويني للنشر- تونس- 1988م- صص 8- 12.
- 33- بالنسبة لخملة العلم إلى المشرق نذكر: الربيع بن حبيب، ومنصور الرياحي، وبشر بن منذ الزواني، و محمد بن المعلّ الكندي، وراشد بن عمرو الحديدي الذين تمكنوا من إقامة دولة الإمام طالب الحق عبد الله بن يعي الكندي(ت 130هـ/747م) أما بالنسبة لخملة العلم إلى المغرب، فهم: أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري البيني، وعبد الرحمن بن رستم، وعاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داود القبل النفزاوي، وتمكنوا من إقامة دولة أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري ما بين (104 إلى 144هـ/757-761م)، وبعد مقتله تمكن عبد الرحمن بن رستم من إقامة دولة للإباضيين بتاهرت في المغرب الأوسط، وحكم فيها ما بين (160 إلى 168هـ/778-784م)، أنظر: الجعيري- مرجع سابق- ص 13- 15.
- 34- الجعيري- المرجع نفسه- صص 63، 64. 35- محمد أبو زهرة- مرجع سابق- ص 73. 36- مصطفى الشكعة- إسلام بلا مذاهب- ط8- الدار المصرية اللبنانية - القاهرة- 1411هـ/1991م- ص 136. 37- صلاح الدين شعباني- التربية والتعليم عند

- الإباضية بالمغرب الإسلامي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين (9-11م)-رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي- إشراف: مختار حساني- جامعة الجزائر - قسم العلوم الإنسانية - التاريخ-2003-2004م/1424-1425هـ- صص 202-203.
- 38- أبو العباس الدرجيني- طبقات المشائخ بالمغرب--تج: إبراهيم طلاي - مطبعة البعث قسنطينة - الجزائر- دت- ج 1 ص 6 .
- 39- نفسه. 40---- نفسه. 41- صلاح الدين شعباني- مرجع سابق- ص 30-34. 42---- نفسه- ص 71. 43---- نفسه- ص 72.
- 44- عبد الرحمن حجازي- التربية الإسلامية في القيروان- ص 378-384/صلاح الدين شعباني-المرجع نفسه- ص 72-81.
- 45- أبو زهرة- مرجع سابق- صص 265، 266 .
- 46- يمكن الاطلاع على تفاصيل نسبهم والاختلاف فيه.أنظر-أبو بكر بن عبد الله بن أبيك الدوادري- كثر الدرر وجامع الغرر (الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية)-ج 6-(دط)-تج: صلاح الدين المنجد- الناشر عيسى البابي الحلبي-1380هـ/1961م-ص 4.
- 47- علي محمد الصلابي- الدولة الفاطمية-ط 1- مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة 1427هـ/2006م-ص 37 .
- 48- أحمد بن عبد الله شهاب الدين النوري- نهاية الأرب في فنون الأدب- ج 28-ط 1-تج: محمد محمد أمين- دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة 1423هـ/2002م-ص 67 .
- 49- حسن إبراهيم حسن- طه أحمد شرف- غيب الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية، ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة-1366هـ/1947م- صص 312-314، للاطلاع على عقائد الإسماعيلية أنظر: محمد السعيد جمال الدين- دولة الإسماعيلية في إيران- ط 1- الدار الثقافية للنشر بيروت -1419هـ/1999م-ص 31-38.
- 50- حسن إبراهيم حسن- طه أحمد شرف- غيب الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية-ص 314. 51---- محمد السعيد جمال الدين- دولة الإسماعيلية في إيران-ص 36. 52---- عبد الرحمن عثمان حجازي- التربية الإسلامية في القيروان- ص 311-314 .
- 53- تاج الدين عبد الوهاب السبكي- طبقات الشافعية الكبرى- ط 2-ج 2 تج: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو- هجر للطباعة والنشر والتوزيع- د م- 1413هـ، صص 284 ، 285. 54---- عمر سليمان الأشقر- مرجع سابق- ص ص 27 ، 28.
- 55- محمد أبو زهرة- مرجع سابق- ص 507. 56---- نفسه- ص 557. 57---- إبراهيم بن علي بن فرحون- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- ج 1-تج: محمد أحمددي أبو النور- دار التراث للطبع والنشر- دت- ص 61.
- 58- عبد الرحمن بن خلدون- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- ط 2- ج 1 تج: خليل شحادة - دار الفكر- بيروت- 1408هـ/1988م- ص 568. 59---- يوسف أحمد حوالة- الحياة العلمية في إفريقيا "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري 450/90هـ- رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي -ج 2- إشراف: أحمد السيد دراج- جامعة أم القرى- مكة المكرمة- كلية الشريعة والدراسات الإنسانية- 1405-1406هـ/1985-1986م-ص 298.
- 60- إبراهيم القادري بوتشيش- نشأة المدرسة المالكية بالمغرب والأندلس- دت- ص 3.
- 61- إبراهيم التوزري- مرجع سابق- ص 94-96/أحمد فؤاد الأهواني- التربية في الإسلام- دار المعارف- مصر- 1387هـ/1968م- ص 34-55. 62---- التوزري-مرجع سابق- ص 94. 63---- الأهواني- مرجع سابق- ص 68/حول ما ذكره كل من ابن وابن العربي عن طرق التعليم في إفريقية وغيرها من الأمصار الإسلامية. أنظر الأهواني- مرجع سابق- ص 69 وما بعدها.
- 64- اختلاف في آراء المؤرخين حول تاريخ ظهور المدارس في المغرب، فالتفق عليه هو بقاء المساجد في الاضطلاع بمهمة التدريس في المغرب والأندلس، وتأخر ظهور المدارس إلى منتصف القرن (7/13م)، فالمدرسة الشيعية بتونس أولى هذه المدارس، وأسس السلطان يعقوب المريني (ت 689هـ/1286م) أول مدرسة براكش والمغرب الأقصى، أما الأندلس، فبناء أول مدرسة بغرناطة، في عهد بني الأحمر سنة (750هـ/1349م). أنظر حسام الدين السامرائي- المدرسة مع التركيز على النظاميات- التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات- ج 2- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية- مؤسسة آل البيت- الأردن- 1989- ص 360.
- 65- محمود على مكي- التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية -ط 1-مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة-1424هـ/2004م- ص 32. 66---- نفسه- ص 10. 67---- نفسه- ص 21. 68---- نفسه- صص 42، 43.

- 69- كاظم شمهود- كاظم شمهود طاهر- الشيعة في الأندلس: الخلافة الحمودية العلوية- ط1- دار الكتاب العربي- بغداد- 2010م/1431 هـ - صص 115، 116. 70- إبراهيم القادري بوتشيش- مرجع سابق- ص 8. 71- الخطيب البغدادي- مصدر سابق- ج 12- ص 292. 72- أبو الحسن علي بن عبد الله النباهي المالقي الأندلسي- تاريخ قضاة الأندلس (المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفُتيا)- ط5- تج: لجنة إحياء التراث- دار الأفاق الجديدة- بيروت- 1983- ص 42. 73- نفسه- ص 41. 74- القادري بوتشيش- مرجع سابق- ص 13. 75- النباهي- مصدر سابق- ص 41. 76- بوتشيش- مرجع سابق- ص 18. 77- أبو القاسم خلف بن بشكوال- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس- ط3- تج: السيد عزت العطار الحسيني- مكتبة الخانجي- 1955م- صص 68-69. 78- القاضي عياض اليعصبي- ترتيب المدارك وتقريب المسالك - ج 1- ط1- تج: ابن تاويت الطنجي- مطبعة فضالة المحمدية- المغرب- 1965م- ص 68. 79- نفسه- ج 6- ص 258. 80- لطيفة بنت محمد البسام- الحياة العلمية في إفريقية في عصر بني زيري 361-555 هـ/971-1160م- مكتبة الملك عبد العزيز العامة- الرياض- 1422 هـ/2001م ص 125/حوالة- الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى"- ص 531-533. 81- عياض- مصدر سابق- ج 5- تج: محمد بن شريفة- صص 293، 294. 82- نفسه- ص 288. 83- أبو بكر بن محمد المالكي- رياض النفوس- ج 2- ط2- تج: بشير البكوش - مر: محمد العروسي المطوي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1994- ص 394. 84- عياض- مصدر سابق- ج 6- ص 215. 85- نفسه- ص 217. 86- نفسه- ص 218. 87- يوسف أحمد حوالة- مرجع سابق- ص 554. 88- لطيفة البسام- مرجع سابق- ص 124. 89- عياض- ترتيب المدارك- مصدر سابق- ج 6- ص 248. 90- نفسه- ج 6- ص 263. 91- عبد الرحمن بن خلدون- مصدر سابق- ج 1- ص 544. 92- عبد العزيز لعرج- "المدارس الإسلامية: دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها"- مجلة دراسات إنسانية- العدد الأول- كلية العلوم الإنسانية جامعة الجزائر- 2001- ص 119/رحيم عائشة- المؤسسات العلمية في العهد الحفصي" دراسة تاريخية"- رسالة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي- إشراف: سي عبد القادر عمر- جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- 1439 - 1410 هـ/2017- 2018م- صص 106، 107. 93- المشاركة: أطلقت على الشيعة؛ إذ شاع استخدامها بين المغاربة، نسبة إلى عُبيد الله المهدي الذي عُرف بالمشركي، ثم أصبحت تُطلق على من يتمذهب بمذهب الشيعة، فيقال: "فلان تَشَرَّق"؛ أي: "أصبح شيعيًا"، وهي مستعملة في كتب الطبقات والتراجم المغربية مثل: طبقات الخشني، ورياض النفوس، وترتيب المدارك، ومعالم الإيمان، وغيرها، أنظر-يوسف أحمد حوالة- مرجع سابق- هامش رقم 3- ص 546. 94- عبد الرحمن حجازي- التربية الإسلامية في القيروان- ص 348. 95- نفسه- ص 309. 96- النويري- مصدر سابق- ص 346. 97- القاضي النعمان بن محمد المغربي- دعائم الإسلام- ج 1- تج: آصف بن علي أصغر فيضي- دار المعارف- القاهرة- 138 هـ/1963م- ص 79 وما بعدها. 98- القاضي النعمان بن محمد- كتاب المجالس والمسائرات- ط1- تج: الحبيب الفقي وآخرون- دار المنتظر- بيروت لبنان- 1996م- ص 272، 273. 99- عبد الله فياض- تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي- مطبعة أسعد- بغداد- 1392 هـ/1972م- ص 62. 100- عبد الرحمن حجازي- مرجع سابق- ص 314. 101- عبد الله فياض- مرجع سابق- ص 64. 102- نفسه- 103- النعمان بن محمد- المجالس والمسائرات- ص 270، 272. 104- حجازي- التربية الإسلامية في القيروان- ص 311. 105- حسن إبراهيم حسن- طه شرف- المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في مصر- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- 136 هـ/1948م- ص 235. 106- يوسف أحمد حوالة- مرجع سابق- ص 548. 107- حسن إبراهيم حسن- طه شرف- المعز لدين الله- ص 233.

- 108- آمال سالم عطية- دور الإمام أفلاج بن عبد الوهاب في ازدهار الحركة العلمية بتيمت خلال القرن الثالث الهجري- مجلة عصور الجديدة- عد: 23- أوت 1437 هـ/ 2016 م- ص 237. 109- عبد الرحمن حجازي- تطوّر الفكر التربوي الإباضي- ص 214.
- 110- صلاح الدين شعباني- التربية والتعليم عند الإباضية- ص 83. 111- نفسه- 112- نسبة إلى مدينة فرسقاء بجبل نفوسة، و توفي الشيخ أبو بكر سنة 440 هـ/ 1049 م. أنظر روبرتو روبينانشي- العزّابة (حلقة الشيخ محمد بن بكر)- تر: لميس الشجني - تق: مومحمد ومادي- منشورات مؤسّسة تاوالت الثقافية سلسلة الأبحاث التاريخية 6- د.ت- ص 11.
- 113- صلاح الدين شعباني- مرجع سابق- ص 113. 114- عبد الرحمن حجازي - تطوّر الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي - ص 178. 115- الدرجيني- مصدر سابق- ج 1- ص 170. 116- صلاح الدين شعباني، مرجع سابق- ص 138.
- 117- للاطلاع أكثر على ماهية نظام العزّابة والأسباب والظروف التي ساهمت في نشأته. أنظر- اسماوي صالح بن عمر- نظام العزّابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب- رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمّقة في التاريخ الإسلامي- إشراف: موسى لقبال- جامعة الجزائر- معبد التاريخ 1407 هـ/ 1987 م/ صلاح الدين شعباني- مرجع سابق- ص 109- 138/ سامية مقري- التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى قيام نظام العزّابة (296 . 409 هـ/ 909 . 1018 م)- رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف: بوبة مجاني- جامعة منتوري - قسنطينة- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قسم التاريخ والأثار، 2005 . 2006 م/ 1426 . 1427 هـ. 118- صلاح الدين شعباني، التربية والتعليم عند الإباضية- ص 152/ عبد الرحمن حجازي - تطوّر الفكر التربوي - ص 201- 206. 119- صلاح الدين شعباني- مرجع سابق- ص 152.
- 120- اسماوي صالح بن عمر، نظام العزّابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب - ص 84.